اليها واخرى في اعلى نقطة في جهتها الجنوبية الشرقية والثالثة بين الخرابات الكائنة بجانب البرج المربع في الجهة الشماليه الغربية وفيها ايضاً بقايا مستودع ماء مكشوف طوله نحو ٣١٥ قدماً وعرضه يزيد عن المئتين . اهلها لا يزيدون عن الاربعمائة نسمة من المسلمين وكلهم فقراء . وعلى مسافة نحو ثلثة اميال الى الجنوب الشرقي من بيت ايل تل يشرف على جانب متسع من غور الاردن الخصيب و يعتقد بعض المتطرفين في تعيين المواقع الدينية بانه المكان الذي ارى الله منه ابراهيم الارض ووعده بان يعطيه اياها بعد انفصاله عن لوط ابن اخيه « تكوين ١٣ : ١٤ »

﴿ عاي ﴾ المدينة التي حاربها الاسرائيليون بعد اريحا وخذلوا فيها بخيانة عخان ولا بد من انها كانت قائمة في هذه الناحية « تكوين ١٢ : ٨ يشوع ٧ »

﴿ الطيبة ﴾ على مسافة نحو سبعة اميال الى الشرق من بيت ايل وقد اجمع رأي اكثر الكتبة على كونها عفرة بلد جدعون احد قضاة بني اسرائيل الذي دعاه الله لمحاربة المديانيين وتحرير الاسرائيليين من نير عبوديتهم « قضاة ٦ : ١١ »

﴿ تل عاصور ﴾ هو جبل شاهق يبلغ علوه نحو ثلثة آلاف ومائتين قدم تقريباً واقع الى الشمال الشرقي من بيت ايل وعليه بقايا قلعة صليبية . وقال اكثرهم انه بعل حاصور المذكور في صموئيل الثاني « ٢٣ : ١٣ »

اورشليم الجديدة واراء الرصفاء

ليس من غرضنا في هذا الفصل ذكر ما كان لكتاب الجامعة الاخير «اورشليم الجديدة» من الاثر في نفوس قراء الجامعة الكرام وما ورد علينا من اراء الادباء والفضلاء فيه — فاننا اعتدنا هذا التنشيط والتشجيع من قرائنا . ونحن نتلقى براهين ودادهم للجامعة واقبالهم على ما تكتبه بالشكر الجزيل ونعتبر انها انما تقوم بما يجب عليها من الخدمة فكل جهد تبذله فيها لا تستحق عليه شكراً ولا ثناء . وانما الغرض في مقالنا هذا شكر حضرات الرصفاء الافاضل الذين تفضلوا بذكر هذا الكتاب في جرائدهم ومجلاتهم تقريظاً او انتقاداً شأن الكرام الذين يحلّون الامور محلها و يشجعون العاملين بسلامة نية

هذا ونحن نغتنم هذه الفرصة لمحادثة حضرات الرصفاء الذين بسطوا بشان

الرواية بعض ملاحظات بدت لهم في اثناء مطالعتها . فمن ذلك مقالة نشرتها رصيفتنا جريدة المصباح البيروتية الغراء لحضرة الكاتب الفاضل الشيخ سليم خطار الدحداح انتقد فيها الرواية انتقاداً يدل على سلامة ادبه وطول باعه . ونحن نرد لحضرته كل ما ورد في مقالته من عبارات الثناء على الجامعة ومنشئها ونشكر له هذا التنشيط . الا اننا نرجو ان يسمح لنا حضرته بان نستغرب الملاحظات التي وردت في خاتمة مقالته . فاننا لا نعلم من اين تلقى ان مبداء الجامعة مبداء (الكومونيزم) الذي دعا اليه افلاطون «١» مع انه لو امعن النظر في الصفحة ٥٥ من (اورشليم الجديدة) في الحاشية (عن جمهورية افلاطون) لتحقق ان مبداء الرواية ضد ذلك المبداء على خط مستقيم . واذا كان قد افضى به الى هذا الاعتقاد ما رآه احياناً في كلام الجامعة او بعض ابطال رواياتها من الاشارة الى المسائل الاشتراكية فقد كنا نأمل ان يراعي الفارق بين الاشتراكية الانجيلية التي ورد ذكرها احياناً في كتابات الجامعة والاشتراكية المادية المجردة عن كل عاطفة دينية . واما اذا كان يرى ان الاشتراكية الانجيلية نفسها لم يبقَ لها محلٌّ في هذا العصر فذلك نقض صريح للاصل الاول الذي قامت عليه الديانة المسيحية

وهناك اعتراض آخر لحضرته وهو إكباره العبارة التي وردت على لسان ايليا مخاطباً استير (لا تتركي الحواجز الصناعية التي يضعها البشر تحول بيني وبينك) ولسنا نرى في هذه العبارة شيئاً يخدش مذهباً من المذاهب اذ المقصود بها اقناع ايليا المسيحي استير اليهودية لترضى به زوجاً . وهذا الزواج مالوف اليوم وان كان عظيماً في ذلك الزمن . اما اعتراضات حضرة الكاتب الاخرى فهي من قبيل المسائل الادبية التي تحتمل وجهين او اكثر والمجال لا يتسع لذكرها كلها . انما نشكر حضرة الكاتب لتنبيهنا الى خطاء فاتنا في الصفحة ١٤٧

---

(١) استنتج حضرته هذا الاستنتاج مما قرأه في منشورات الجامعة . ولكننا نرى جناب محرر (المنارة) في البرازيل ادق استنتاجاً واحسن مطالعة . فانه بين كلامه على كتاب الجامعة « الدين والعلم والمال » لام المؤلف لانه لم يحكم بين الاحزاب الاربعة اهل العلم واهل الدين واهل المال والاشتراكيين بل حرفهم جميعاً بنار وكبريت من السماء في ختام الرواية . ولوم الكاتب في محله لو لم يكن عدم الحكم حكماً . فان معاقبتهم كلهم بالنار والكبريت دليل على انهم في ذهن المؤلف مذنبون جميعاً وهو ما يؤخذ من بضع عبارات في الختام . وعليه لا يكون المؤلف موافقاً على كل ما ورد في ادلتهم وبراهينهم بل هو يرى ان في مذهب كل حزب منهم شيئاً حسناً وشيئاً لا يمكن قبوله في عدة ظروف . فهو يتمسك بكل ما كان حسناً مقبولا في كل حزب وينبذ ما كان غير مقبول في كل حزب . وهذا سبب عدم الحكم بين الخصوم في تلك الرواية . فاي معنى اذاً لنسبة المؤلف الى اشد تلك الاحزاب تطرفاً

فقد ورد فيها (الامبراطور كلوديوس) والصواب كلوديوس نائب الشعب لا الامبراطور . وتلك القطعة منقولة حرفياً عن مونتسكيو كما ورد في الحاشية فمضينا في الترجمة دون انتباه الى حقيقة الاسم وهو سبب الخطاء . واذا كانت مقالة المنتقد الفاضل لا تحتوي غير هذه الفائدة لما فكفى بها امثولة للمستقبل (١)

هذا ما راينا بيله واجباً بشان مقالة المصباح اللطيفة . وهناك اعتراضات اخرى لاصقاء آخرين . منها ما آخذتنا به رصيفتنا جريدة الظاهر الغراء من ذكر (الميكانيكه) في زمن لم يكن فيه للميكانيكه اثر . والذي نعلمه ان عصر الميكانيكه اقدم من عصر الرواية بالوف من السنين . وهذه الاهرام الهائلة المبنية على مقربة منا والتي زرناها في الشهر الماضي لاشباع العين من منظرها الفخيم لا يمكن ان تكون بنيت الا بالات ميكانيكية اعانت العملة على بنائها ورفع حجارتها . وفضلاً عن ذلك فان الشيخ الراهب لم يذكر الميكانيكة على التحقيق بل على الظن وهو امر مالوف في انشاء الروايات . وكم من الروائيين يتصورون اليوم السياحة في الكواكب ويصفون اهلها وهم لم يتحققوا بعد هل هي مأهولة ام لا . اما انتقاد الرصيفة بشان رنان فجوابنا عليه اننا لو فعلنا كما تمنت لكانت هي اول الشاكين .

ولقد لاحظت رصيفتنا جريدة المنارة الغراء التي تطبع في البرازيل ملاحظة خلاصتها ان المؤلف لم يعرّف الى القارئ (ارميا والشيخ سليمان) فلم يعلم القارئ شيئاً من ترجمتهما ولا من اين قدما . وهذه الملاحظة في محلها الا ان المؤلف اعتمد في ذلك على ذكاء القارئ . والقارئ يستنتج من سياق الرواية وحوادثها ان الشيخ سليمان من اهل القدس وقد قُتل ابنه في حرب الفرس فذهب وانتقم له ثم عاد واقام في وطنه . وان ارميا معتوه مصاب بالهوس الديني ومثله كثير حول الاديرة . ونذكر هنا لرصيفتنا الفاضل محرر المنارة صاحب هذه الملاحظة اننا لم نخلق ارميا خلقاً كما اننا لم نخلق مخلوف في رواية (الوحش الوحش الوحش) فان مخلوف موجود باللحم والدم وقد عرفناه وحادثناه في ربوع الشام . وكذلك ارميا فاننا رسمناه على صورة معتوه يهودي كان يدّعي انه المسيح ويأوي الى كنائس المسيحيين مدعياً ان البيت بيته . فلما كنا نكتب عن ارميا كانت صورة ذلك الشخص المسكين حاضرة في ذهننا فكان لنا فيها غنى عن تعريف صاحبها

---

(١) انتقد ايضاً حضرة المنتقد تفسير (ابيروس والتراس) في الحاشية فظن الضمير في (هي رومانيا وبلغاريا اليوم) عائداً الى ابيروس والتراس والصواب الى التراس فقط والاّ لوجب ان يقال (هما)

وبما اننا الآن في دائرة رصيفتنا المنارة فالانتقال منها سهل الى دائرة رصيفتنا جريدة (المناظر) . فقد نشرت الرصينة العزيزة مقالة عنوانها (اوروشليم الجديدة) بتوقيع « الرجل الاجتماعي » فيها ما اعتادت (الجامعة) ان تجده لدى رصيفتها الجريئة الصادقة من كلمات التشجيع وعرفان قيمة العمل الجدي . ونحن نتلقى تشجيع رصيفنا الكاتب الفاضل صاحب المقالة بعواطف الشكر والامتنان لقدره تعب الجامعة قدره ونرجو ان تبقى الجامعة اهلاً لثناء اهل الفضل والادب من الكرام امثاله

هذا ولقد اخرنا الكلام على انتقاد رصيفنا وشيخنا الكريم (المقتطف) الاغر لنطيل في شكر جنابه على ما تفضل به على الجامعة من عبارات اللطف والوداد التي تدل على انه في مقامه بين رصفائه لم يخسر شيئاً من منزلته العلمية ولذلك يلتزم الانصاف على الدوام ولا يحارب احداً منهم بسلاح الضعفاء . ونحن لا نشك في ان الرصيف لم يقصد قط الحط من قدر الرواية في ما كتبه عنها لانه ارفع من هذا الامر الذي لا ياتيه الا من كان يكره حسنات غيره و يسوءه التعب والجهد الذي يبذله العامل في عمله . والارجح عندنا ان الرصيف الكريم كتب انتقاده في ساعة اهمال او ضجر او عسر هضم كما يقول بعضهم لا لسوء قصد . وكل من يعرف تعب انتقاد الكتب يعذره . مثلاً قال حضرته ان تاريخ الواقدي الذي اعتمدنا عليه في بعض صفحات الرواية « هو نفسه رواية تاريخية كما يتضح لمن يطالعه فحبذا لو محص المؤلف ما نقله عنه » . فيظهر ان حضرة المنتقد قد قرأ « اوروشليم الجديدة » بسرعة او انتقدها قبل ان يقرأها او لم يقرأها . فقد قلنا في الصفحة (٣٢) في الحاشية ما نصه بحرفه « نعتمد هنا (اي في ذلك الفصل) على الواقدي وان كان تاريخه يكاد يكون في اكثر اقسامه قصة عنترية » وفي تلك الصفحة في الحاشية صححنا الواقدي قوله عن (قيصرية او بيت المقدس) وفي الصفحة (٣٣) حذفنا من كلامه اسم خالد ابن الوليد لانه نفسه يقول في موضع آخر انه لم يسر في مقدمة الجيش . وفي الصفحة ١٠٤ قلنا في الحاشية « الرواية التي رواها الواقدي هنا مخالفة للعقل بعيدة التصديق ولذلك لم نعبأ بها واولناها هنا هذا التاويل » وفي الصفحة ١١٩ عارضنا رواية الواقدي برواية ابن الاثير في جواب الامام علي وفي مطية عمر . وفي الصفحة ١٣٣ قلنا في الحاشية « لم نرَ في غير الواقدي اثراً لهذا الغدر ومبالغاته مشهورة » فمن ذلك يتضح اننا لم ننقل عن الواقدي الا كل ما رأيناه موافقاً للعقل والنقل التاريخي الصحيح . ونظن ان هذا ما يُدعى (تمحيصاً) . ولكن لعل الرصيف لم ينتبه الى ذلك

وهنالك ملاحظة اخرى لحضرته وهي قوله ان في الرواية (نصائح وحكم يشفُّ بعضها عن لوم صاحبها الدنيا) وهذا ايضاً لم ينتبه اليه الرصيف. فانه لم يرد في الرواية لوم للدنيا بل « للفساد الذي في الدنيا » ولا مشاحة في ان كل الناس يذمون هذا الفساد الا الذين يستفيدون منه ويملأون به خزائنهم ذهباً . وان قيل ان الصلاح سيتغلب على الفساد والخير على الشر في مستقبل الانسانية كما قال حضرته في خاتمة كلامه فهو قول «مرجَّح» . ولكن هل يقع ذلك في المستقبل باعانة الاشرار على شرورهم للاستفادة منهم ام بمقاومة هذا الشر بكل القوى البشرية . لا ريب عندنا ان الطريقة الثانية هي الطريقة الوحيدة التي تُبنى عليها ناموس بقاء الافضل . فالذين يصدمون الفساد على الدوام معرضين مصالحهم للخسران هم انصار هذا الناموس والذين يقولون «اتركوا الفساد فانه يزول من نفسه» وذلك لخوفهم من مقاومة اصحابه او التماساً لفائدة منهم انما هم يعيقون سير هذا الناموس . لانه اذا قويت قوة الشر على قوة الخير ضعف الخير وان كان ضعفاً وقتياً فافضى به هذا الضعف الى التاخر وان كان لا يمكن ان يضمحل للقوة العجيبة التي وضعها فيه الخالق العظيم . ولكن اذا أُعين الخير على الشر كان انتصاره سهلاً قريباً

وهذا الكلام يجرنا الى ملاحظة صغيرة لاحد كتَّاب الفرنسويين . فقد كتب هذا الكاتب في احدى جرائد باريز ترجمة الشاعر الروسي العصري المشهور (مكسيم غوركي) الذي ساوت شهرته اليوم شهرة تولستوي في عالم الادب والشعر وفن الروايات . فذكر عنه ان كتاباته اخذت تنبه في نفوس كبراء الروس الميل الى اخوانهم الصغار الذين دونهم في الحياة الاجتماعية بما يصوّره في رواياته من احوالهم وشؤونهم وانه سيكون لهذا الشاعر المؤلف على روسيا من التاثير بشأن الطبقات الضعيفة ما كان لروسو على فرنسا بشأن الطبيعة . فيكتشف الروس في رواياته وجود اولئك التعساء وذلك الفساد كما اكتشف الفرنسويون الطبيعة في كتب روسو ومالوا اليها . ثم قال « وقد يعجب بعض كتَّابنا من كساد سوق كتاباتهم واهمال الجمهور لها بازاء ما يرونه من تهافتهم على كتب غوركي مثلاً ولكن لا يلوموا احداً غير انفسهم . فانهم يصرفون وقتهم في البحث في الصحر والمطر والصعود والهبوط وغير ذلك من الامور الجافة الناشفة المخصوصة باهل العلم الباحثين دون غيرهم مع انه لدينا هيئة اجتماعيّة معتلّة علينا النظر في دوائها وفساد كبير علينا هدمه . والاشتغال عن هذا الاعتلال وهذا الفساد بالصحو والمطر والمدّ والجزر من قبيل اشتغال الانسان بالشيء الكمالي قبل الضروري . كاشتغال المريض المدنف مثلاً بشراء لحم

لا يقدر على اكله ولا هضمه قبل شراء دوائه او كاشتغال ربة البيت بخارج بيتها واهمالها داخله . ثم قال ان الكتّاب المشار اليهم معذورون لانهم لم يدرسوا حقيقة الحياة ولم يخالطوا الامة ليعرفوا مبلغ اتعابها وآلامها وطبيعة الفساد الذي تشكو منه »

وقد اراد الكاتب بهذا القول اظهار ان في كتّاب بلاده قومًا شبوا بمعزل عن الامة ولم يخالطوا الشعب كما خالطه غوركي «١» ليعلموا حاجاته وآلامه . ولكن عندنا ان هذا السبب وحده غير كافٍ . واذا صح هذا القول في الكتّاب الذين ينبغون في الطبقات العليا فلا يصح في الذين ينبغون في الطبقات التي تحتها وكثير ما هم . والصحيح ان «للمصلحة والمنفعة» التاثير الاعظم في تغيير اخلاق الكتّاب وافكارهم وصرفهم الى الوجهة التي ينصرفون اليها فيجعلون همهم جمع المال بدل النفع العام . وهذه آفة العلم والسياسة والآداب — بمعنيتها — في العالم . غير ان هذه الآفة لسوء الحظ طبيعية في الانسان . الاّ اصحاب العقول والقلوب العظمى الذين تمنحهم العناية الالهية قوة خصوصية فيزدرون الثروة والمجد الماديين ويحتقرون من قمة مفاخر الدنيا والطبقات العالية الى وهاد الشعب وابناء الامة الرازحين تحت نير الطبقات القوية رغبة في تسليتهم واعانتهم على احتمال هذا النير او رفعه عن اعناقهم كتولستوي الذي هو « كونت » من اشراف روسيا وفولتير الذي كان من اشراف فرنسا . فان هؤلاء الاعاظم مع كونهم من الطبقات العالية ومن اهل المال دأبهم ان يحاربوا بكل قواهم في الطبقات العالية الحاكمة والمحكومة ذلك الفساد الاجتماعي والسياسي المبني على « سلطان المال » الذي يسمم دم الامة شيئًا فشيئًا لانه يقتل العدالة فيها لجعله القانون العوبة في يد المال يميل معه حيثما مال ويحصر السلطة والمنافع والاملاك والارزاق في افراد قلائل يكون باقي الامة اجراء مسخرين لهم يتعبون ويكدون ويكدحون وغيرهم يتمتع بثمرة تعبهم دون ان يهتم او يغتم لحالة الامة والعملة الذين يجمع ثروته منهم

ويظهر ان هذا الداء قد بدأ ينتشر في الشرق انتشاره في الغرب . فقد قرأنا منذ مدة في شهر واحد فقط عدة فصول في الجرائد العربية فيها بروق ورعود على « سلطان المال » في الشرق . منها مقالة في جريدة « الصاعقة » المصرية هي في الحقيقة صاعقة لم نقرأ قط مقالة بليغة بموضوع كموضوعها . واخرى في رصيفة في البرازيل لمراسل تكلم عن حالة

« ١ » غوركي كان في صباه حقيرًا مستخدمًا عند صانع احذية ثم ترك العمل وشرد في البلاد مع المتشردين وبعد ذلك تلقى العلم والادب من تلقاء نفسه وآخر كتبه الذي اقام روسيا واقعدها عنوانه « الطبقة السفلى » يعني ضعفاء الامة

الطبقات الاجتماعية . واخرى لسيادة مطران في بيروت وهي عظة بليغة نُشرت في احدى رصيفاتنا البيروتية . وثالثة في الرصيفة نفسها وهي خطابة لدكتور في بيروت وجدنا في انفاسه فيها ريح الحرية والجرأة التي تعودنا استنشاقها في الرصيفة قبل طورها الاخير . ويظهر لنا مما نلاحظه ونقرأه ونسمعه حيناً بعد حين ان هذه الحركة آخذة في الامتداد والانتشار . ونحن نأسف لها لانها ستكون في مستقبل قريب او بعيد سبب نزاع شديد بين الشرقيين كما هي بين الغربيين . ولكن الاسف لا يوقف مجرى النواميس الطبيعية . ومتى جاء ذلك الزمن وصار معلوماً في الشرق ان هدم الفساد الاجتماعي مقدّم على هدم الفساد السياسي لانه بدون الفساد الاجتماعي يستحيل وجود الفساد السياسي . وذهبت دولة « الاستفراد » العصري individualisme الذي اروج ما تكون بضاعته في صفحات رصيفنا المقتطف والاحتكار المالي الذي يقيم له الرصيف في صفحاته صوراً وتماثيل يمجدها اولئك الاميركيين الطغام الذين يحتكرون ارزاق الامم ويعيشون فيها كالعلق يمتصون دمها ولا ينفعونها . وحلّت محل تلك الدولة دولة التعاون الاجتماعي والتضامن البشري بين جميع طبقات الامة والاخلاص القلبي — فرواية كرواية « اورشليم الجديدة » تكون حينئذ مفهومة من رصيفنا الكريم المقتطف الاغر اكثر مما كانت اليوم

وفي ختام المقال نشكر للاستاذ شيخنا وكبيرنا ملاحظاته التي كانت السبب في لذة هذا الحديث معه ولا ريب عندنا في انه يتجاوز عن مواجهتنا له بهذا الردّ لعلمه ان انتقاد منتقد مثله لا يحسن ان يبقى بلا جواب وذلك ان لم يكن اتباعاً لسنة « تنازع البقاء » فاحتراماً لاراء العلماء الاعزاء

الشعر العصري البليغ

ديوان الرافعي « الجزء الثاني » «١»

كل من يقرأ شعر الرافعي يُدهشه ما يجده من البلاغة في شعر هذا الشاعر الجديد الذي ظهر في سماء الادب العربي على حين فجأة ظهور الكواكب في السماء وهو لا يتجاوز الثالثة والعشرين من عمره . ولقد اعتاد بعضهم الغلو في تقريظ المؤلفين والمترجمين ارضاءً لهم او تزلفاً اليهم اما الجامعة فانها رأت منذ وقفت على شعر هذا الشاعر ان تقوم بما يجب على المنتقدين

«١» تحت الطبع في مطبعة (الجامعة) وسيصدر قريباً